

ذئب ترامب السعودي — الإسرائيلي، قصيرة مخالبه



قاسم عز الدين

ما وُصف في السعودية بأنه "قمة تاريخية" لمحاربة إيران، يكشف عن اختياره البحرين لإظهار عزيمة الحرب. لكن اختيار ساحة المعركة حيث الحراك مدني أعزل، يدلّ على أن التحالف الأميركي — السعودي — الإسرائيلي يحاول تجديد ما بعثت في مؤلف الرمي على أجساد إذا أصابتها سهام تكسّرت النمل على النصال.

في الحديث المسبّب عن "استراتيجية جديدة" لما سمّي بأنه "ناتو" إقليمي في المنطقة العربية، طفح الإعلام المحابي للأميركا وال سعودية بأوصاف التمجيل لهذه الوثيبة الجبارة على خلاف معظم الإعلام الأميركي والغربي. لكن هذه الاستراتيجية الجديدة لا تتجاوز ما كان بحسب البيان المشترك الأميركي — السعودي ما كان قائماً.

وهو "رسم مسار نحو شرق أوسط ينعم بالسلام حيث التنمية الاقتصادية والتجارة والدبلوماسية". ما عدا الإشارة الجديدة لإسرائيل، دأبت السعودية منذ روح على هذا الخطاب نفسه.

ولم تأتِ بجديد أقله منذ محاولة إظهار القوة في "التحالف الإسلامي" للحرب على اليمن. حتى أن الطرفان لم يتفقا على الحد الأدنى الذي يمكن أن يعبر عن تحالف جديّ ما، كإقرار هيكل أمني إقليمي. فقد وردت في البيان بصيغة رغبة وأمنية على شكل "أن إيجاد هيكل أمني موحد وقوى أمر بالغ الضرورة لتعاونهما" على الرغم من الخطاب العالي السقف في العداء لإيران، لم يتجاوز البيان الاتفاق على "ضرورة احتواء تدخلات إيران الشريرة في الشؤون الداخلية للدول الأخرى".

ولا عجب، فالتحالفات والاستراتيجيات في حدتها الأدنى مدخلها في الخطوة الأولى يتعارض مع العراضة السعودية في مهرجان السيف على شرف دونالد ترامب وعائلته.

فالعقل السياسي الذي يعتمد على إغداق الهدايا بأحجار الماس واليخت وسبائك الذهب، هو عقل تقديم البيعة للسلطان تحت أمرته وليس محاولة إغوائه للصداقة والتعاون في تحالف أو عمل مشترك وما شا به. والمفارقة أن السعودية تطن أن الإعلان عن أنها عطاءات شخصية لترامب وعائلته، يعفيها من الوصول إلى متحف "أمريكا" حيث تجمع هدايا الرؤساء. لكن المتحف ينتظر كشف البيت الأبيض بلائحة الهدايا.

على الجانب الآخر يذهب ترامب إلى علاقة مع السعودية بعقلية التاجر وشركة الصفقات المربيحة كما لم يتورّع عن التباھي في الرياض. وبينما أعلن البيت الأبيض عن صفقة سلاح بـ 110 مليار دولار، زاده عادل الجبير من الشعر بيتاً في الإعلان عن 34 عقداً بأكثر من 380 مليار دولار بحسب تأكيده تشمل الدفاع والنفط والنقل الجوي. وما ذكره الجبير والبيت الأبيض هو بعض مما أسماه باراك أوباما "استراتيجية جديدة" في اجتماع كامب ديفيد مع دول الخليج، على نقيض ما يسبقه الإعلام المحابي على التحالف مع دونالد ترامب.

ما يتفق عليه القاصي والداني من الباحثين في الولايات المتحدة والدول الغربية، أن ترامب ليس لديه استراتيجية لا في داخل أمريكا ولا في خارجها. وبينما كان سلفه باراك أوباما يبحث عن ملامح تحالفات وخطة عمل، يتخطى ترامب في كل الاتجاهات في أمريكا وفي خارجها.

ذلك أن أمريكا التي كانت ترسم استراتيجيات وتقيم تحالفات، كانت تملك من القوة ما يجعلها أن تتقدم الحروب والمعارك لكي تستطيع أن تجرّ تحالفاتها وراءها نحو استراتيجية تحمي بها مصالحها وترضي حلفاءها. لكن أمريكا غير القادرة عن خوض الحروب في عهد أوباما وفي عهد ترامب، لا تمتلك وهم الحديث في الاستراتيجيات إنما تتركه لعادل الجبير.

شهر ترامب جيرالد كوشنير هو الذي أطلق ما سماه "شبه ناتو أمريكي — إقليمي" مع السعودية وإسرائيل. وفي ظنه أن ترامب سيقدر إسرائيل هدية التحالف السعودي والإماراتي معها، مقابل قبولها عودة المفاوضات مع السلطة الفلسطينية بما يدفع إلى التحالف في مواجهة إيران.

لكن هذا الطن مبني على أن إسرائيل تضحي بتنازلات شكلية من أجل التحالف مع دول عربية. وما يتضح جليّاً منذ أوباما حتى زيارة ترامب، أن إسرائيل تشترط أن تقدم لها واشنطن هدايا كفرض الاعتراف على العرب بالدولة اليهودية، مقابل قبول الانضمام إليها في مواجهة إيران.

فهي تعتقد أن هذه الدول العربية ينبغي أن تقدم تنازلات لإسرائيل، كما ينبغي على واشنطن أن تنتقد سفارتها إلى القدس لأن الطرفان يحتاجان إليها في المنطقة وليس لديهما خيار آخر غير قبول الأمر الواقع آخلاً أم عاجلاً.

في العاجل، يتضح أن المسار السعودي، يسير كما تراهن إسرائيل. وأن ترامب يأخذ بنصيحة نتانياهو "بأن التوصل إلى اتفاق هو الأصعب". وبين العاجل والآجل يقول شوقي "كان النحس حين جرى عليهم أَطَارَ

بكل مملكة غراب.